

## الفصل الثاني

### شيوخ ابن إسحاق

عبد الله بن أبي بكر بن حزم

في الجيل التالي للتابعين ، بين العدد الكبير من علماء الحديث ثلاثة رجال يستحقون أن نذكرهم ، وثقوا بهم في هذا الموضوع ، لأنهم وجها عنيتهم الخاصة إلى المغازي ، وهم : عبد الله بن أبي بكر بن محمد ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، ومحمد بن مسير الزهري : وهؤلاء الثلاثة جميعهم من أكبر شيوخ ابن إسحاق ، وجميعهم من أتباع مدرسة المدينة .

ولد عبد الله بن أبي بكر من أسرة مدنية ، خدم أجدادها الإسلام في عهد النبي خدمات كبيرة . فقد أرسل النبي جد عبد الله الأكبر إلى اليمن<sup>(١)</sup> ، وعهد إليه في تعليم أهلها وتفقيهم في الدين ، وبقى هناك واليا للنبي على نجران<sup>(٢)</sup> .

---

(١) ابن هشام ٤ : ٢٤١ : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث إليهم بعد أن ولى وقدم عمرو بن حزم ، ليقبضهم في الدين ، ويعلمهم السنة ومعالج الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم .

(٢) الطبري ١ : ١٨٥٢ : وكان فيمن بعث النبي صلى الله عليه وسلم مع عمال اليمن في سنة ١٠ بعد ما حج حجة التمام ، وقد مات بآدم ، فذلك فارق عملها بين شهر ابن بآدم ، وعاصم بن شهر الهمداني . وعبد الله بن فيس أبي موسى الأشعري ، وخالد بن سميد بن العاص ، وانظار بن أبي هالة ، ويعلى بن أمية ، وعمرو بن حزم . ويقول الطبري أيضا ١ : ١٩٨٢ : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرضها عمرو بن حزم .

وتوفي جسد عبد الله ، محمد بن عمرو ، في يوم الحرة<sup>(١)</sup> ( ٦٣ هـ ) حين هزم  
الأمويون أهل المدينة . ووقف مروان بن الحكم ، الذي صار الخليفة في  
بعد ، عليه حين رآه مطروحا في الميدان في ذلك اليوم ، فقال : «رحمك الله  
قرب سارية قد رأيتك تطيل القيام في الصلاة إلى جنبها !» . ثم كان أبوه  
أبو بكر قاضيا في المدينة من عام ٨٦ هـ ، العام الذي تولى فيه عمر بن  
عبد العزيز المدينة<sup>(٢)</sup> ، واشتهر بتبحره في الفقه<sup>(٣)</sup> الذي أخذه عن أبان  
ابن عثمان<sup>(٤)</sup> . وقاده الخليفة سليمان في عام ٩٦ هـ ، ولاية المدينة<sup>(٥)</sup> إلى جانب  
القضاء ، تلك الولاية التي لم يتقلدها قبله أحد من أهل المدينة في عصر  
الأمويين<sup>(٦)</sup> ، واسكنه احتفظ بها طول عهد عمر الثاني<sup>(٧)</sup> ، وعزله عنها

(١) الطبري ٣ : ٤١٧ .

(٢) الطبري ٣ : ١١٩١ : وكان على قضاء المدينة في هذه السنة ( يعني سنة  
٨٧ ) أبو بكر بن عمرو بن حزم من قبيل عمر بن عبد العزيز . ويقول الطبري  
٣ : ١٢٥٨ : عثمان | بن حيان | قدم المدينة أميرا عليها سنة ٩٣ . . . فاستقضى  
أبا بكر بن حزم .

(٣) الذهبي (ت. فقه : تراجم ٩٠ ) وقال ابن وهب عن مالك : لم يكن أحد  
بالمدينة عنده من علم القضاء ما كان عند أبي بكر بن حزم . وانظر أيضا ابن حجر  
١٢ : ٣٩ .

(٤) الذهبي ٩٠ : وقال عبد الله بن أبي بكر بن حزم إن أباه كان يتعلم القضاء  
من أبان بن عثمان .

(٥) الذهبي ٨٩ : ولى القضاء والإمارة والموسم على المدينة اسلمان واعمر بن  
عبد العزيز . وانظر أيضا الطبري ٢ : ١٢٨٢ ، ١٣٠٥ .

(٦) ابن حجر ١٢ : ٣٩ : ولم يكن بالمدينة أصاري أمير غير أبي بكر بن حزم ،  
وكان وصيا .

(٧) الطبري ٢ : ١٣٤٦ : وحج بالناس في هذه السنة ( يعني سنة ٩٩ )  
أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ، وكان عامل عمر على المدينة . . . ويقول أيضا في ١٣٥٨ :  
وحج بالناس في هذه السنة ( يعني سنة ١٠٠ ) أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم .

يزيد الثاني<sup>(١)</sup> : ولكنه بقي قاضيا مدة طويلة في عهد الوالي الجديد<sup>(٢)</sup> ،  
الذي لم يكن على علاقات طيبة معه ، والذي ضربه ذات مرة<sup>(٣)</sup> . وتقلد  
أوبكر فيما بعد ، في عام ١١٨ هـ ، ولاية المدينة مرة أخرى لبضعة أيام<sup>(٤)</sup> .  
وتوفي عام ١٢٠ هـ ، أو قبل ذلك ببضعة أعوام<sup>(٥)</sup> . وتسلم أوبكر ، الذي  
لاحظ حب ابنه لدراسة الحديث ونصحه بمقارنة معجز كل حديث بصدوره<sup>(٦)</sup> ،  
تسم من عمر الثاني الرسالة التالية : « انظر ما كان من حديث رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، أو سنة ماضية ، أو حديث عمرة بنت عبد الرحمن ،  
فاكتبه ، فإنني قد خفت دروس العلم وذهاب أهله » . وكانت عمرة  
المذكورة هنا تعرف الأحاديث ، وخاصة التي روتها عائشة زوج النبي<sup>(٧)</sup> عن

(١) الطبري ٢ : ١٣٧٣ : عن أبي بكر بن حزم أنه قال : لما قدم عبد الرحمن  
ابن الضحاك المدينة وعزلني ، دخلت عليه ... الخ .

(٢) الطبري ٢ : ١٣٧٣ : فلم يزل الأمر يترقى بينهما حتى خاض إليه رجل  
من بني فهر وآخر من بني النجار ، وكان أوبكر قضى للنجاري .

(٣) الطبري ٢ : ١٤٥٢ : قال الزهري : فلم يأخذ بشيء من ذلك ، وعادى  
الأنصار ظمرا ، وضرب أبا بكر بن حزم ظلما وعدوانا في باطل .

(٤) الطبري ٢ : ١٥٩٢ : ذكر الواقدي أن أبا بكر بن عمرو بن حزم يوم  
عزل خالد عن المدينة حادته كتاب يأمرك على المدينة ، فصعد المنبر ، وصلى بالناس ستة  
أرباع ، ثم قدم محمد بن هشام من مكة عاملا على المدينة .

(٥) الذهبي ٩١ : قال الهيثم بن عدي ويحيى بن بكير وأبو مثنى : مات سنة سبع  
عشرة ومئة . وقال الواقدي وابن سعد وجماعة : مات سنة عشرين ومئة .

(٦) الذهبي ٩١ : وكان يقول لابنه عبد الله : إن أراك تحب الحديث وتحالس  
أهله ، ولا تستقبل صدر حديث [إلا] إذا سمعت نوره ، استدل بأعجازها على صدورها .

(٧) ابن سعد ٢ : ١٣٤ : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد  
ابن عمرو بن حزم « أن انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
أو سنة ماضية ، أو حديث عمرة بنت عبد الرحمن ، فاكتبه ، فإنني قد خفت دروس العلم ، =

طريق اتصالها بها ، وكان لأبي بكر فرصة طيبة للأخذ عنها ، بسبب أنه ابن أخيها<sup>(١)</sup> . ومع ذلك لم توجد هذه المدونات التي كتبت بأمر عمر الثاني ، حتى في الجيل التالي<sup>(٢)</sup> . وتقلد أحد أبناء أبي بكر ، المسمى محمد بن أبي بكر ، الذي توفي عام ١٣٢ ، القضاء في المدينة<sup>(٣)</sup> كأيبيه .

أما ابنه الآخر ، عبد الله بن أبي بكر - الذي قدمنا من أجله كل هذه الأخبار عن أقاربه - فقد ابتعد عن الأعمال الرسمية ونخبنا الزهري (الذي يقول عنه إنه ليس له مثيل في المدينة كلها) أن المسكان الذي وصل إليه أبوه هو الذي يمنعه أن يرتفع ذكره ، مادام أبوه حيا<sup>(٤)</sup> . ولم يعش عبد الله بعد أبيه إلا نحو عشرة أعوام إلى خمسة عشر ، وتوفي عام ١٣٠ أو ١٣٥ هـ<sup>(٥)</sup> ويتجلى التعارض الذي وُجد بين ممارسة القضاء ، الذي يُعنى بما يجمع عليه

== وذهاب أهله . ويقول ابن حجر ١٢ : ٣٩ : عن ابن وهب عن مالك ، وكان... وولد عمر بن عبدالعزيز ، وكتب إليه أن يكتب له من العلم من عند عمرة بنت عبد الرحمن والقاسم بن محمد . . . . .

(١) ابن حجر ١٢ : ٤٣٨ : عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارمة الأنصارية المدنية ، كانت فحجر عائشة ، روت عن عائشة ، وأختها لأمها أم هشام بنت حارثة بن النعمان ، وحبشية بنت سهل . . . الخ .

(٢) ابن حجر ١٢ : ٣٩ : فسألت ابنه عبد الله بن أبي بكر عن تلك الكتب فقال : ضاعت .

(٣) الطبري ٣ : ٢٥٠٥ : ومحمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وكان قاضيا بالمدينة . . . يقضى في المسجد . . . توفي سنة ١٣٢ في أول دولة بني العباس ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة .

(٤) ابن حجر ٥ : ١٦٥ : عن مالك أخبرني ابن عنزابة قال : قال لي ابن شهاب : من بالمدينة ؟ ( يعني فأجابه ) فقال ابن شهاب : ما ثم مثل عبد الله بن أبي بكر ، ولكنه يمنعه أن يرتفع ذكره مكان أبيه أنه حي .

(٥) نفس المرجع : توفي سنة خمس وثلاثين ومئة ، ويقال سنة ثلاثين وهو ابن سبعين سنة .

أهل المدينة من عمل ، وبين مطالب الحديث ، يتجلى هذا التعارض في حديث دار بين عبد الله وأخيه محمد القاضي<sup>(١)</sup> . « فكان إذا قضى بالقضاء مخالفا للحديث ، ورجع إلى منزله ، قال له أخوه عبد الله بن أبي بكر - وكان رجلا صالحا - « أى أخى ، قضيت اليوم فى كذا وكذا بكذا وكذا » . فيقول له محمد : « نعم ، أى أخى » ، فيقول له عبد الله : « فأين الحديث ، أى أخى ، عز الحديث أن يقضى به ؟ ! » فيقول محمد : « أيها ، فأين العمل ؟ » يعنى ما أجمع عليه من العمل بالمدينة ، والعمل المجتمع عندهم أقوى من الحديث » .

ونستطيع من مقتبسات ابن إسحاق والواقدي وابن سعد والطبري أن نصور نشاط عبد الله بين رواة الحديث إلى حد ما ، فيما يختص بالمغازي . ونعرف من الفهرست<sup>(٢)</sup> أن ابن أخى عبد الله ، واسمه عبد الملك بن محمد القاضي المذكور آنفا ، والذي كان قاضيا أيضا وتوفي عام ١٧٦ هـ ، قد ألف « كتاب المغازي » ؛ ومن المحتمل أن هذا الكتاب الذى يبدو أنه لم يبق له أى أثر ، كان يتألف من المجموعة التى أخذها عن عمه ، كما يروى أحد إخوة عبد الملك هذا ، واسمه عبد الرحمن ، الأخبار عن عمه<sup>(٣)</sup> كثيرا عند

(١) الطبري ٣ : ٢٥٠٥ .

(٢) الفهرست ٢٢٦ : عبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم الأنصاري ، وتوفي سنة ست وسبعين ومئة ببغداد ، وكان قاضيا بها لهارون . وله من الكتب : كتاب المغازي . ويقول ابن سعد ٢٧٢ : ٦٨ عنه : وكان قليل الحديث .  
(٣) خطأ فهرست ولهوزن وسماء عبد الرحمن بن أبي بكر بدلا من عبد الرحمن ابن محمد بن أبي بكر .

الواقدي . ولم تقتصر أقوال عبد الله على المغازي بالمعنى الخاص للكلمة :  
فقد عني أيضا بشباب النبي وأعوامه الأولى ، ولكن اسمه يظهر في غالب  
الأحيان في أخبار الغزوات ، ووجه عنايته أيضا إلى « الوفود » :  
(وفود القبائل العربية على النبي) ، وروى أخبارا عن ردة القبائل العربية  
بعد وفاة النبي ، وعن حوادث خاصة في العقد التالي ، عن الأيام الأخيرة  
للخليفة عثمان مثلا<sup>(١)</sup> . وكان بيت أسرة عبد الله بجوار البيت الذي لقي فيه  
الخليفة حنفة<sup>(٢)</sup> ، وكان جده الأكبر يعرف الحوادث التي أدت إلى مقتل  
الخليفة<sup>(٣)</sup> . ويذكر عبد الله كثيرا من أخباره دون ذكر للرواة ، وفي أحوال  
أخرى يذكر أسماءهم ؛ فلم يكن يرى الإسناد واجبا بعد . وينتهي طرف  
من أخباره إلى عمرة خالته الكبرى ، أخذها عنها مشافهة ، وعن طريق  
زوجها فاطمة ، التي أخذتها مباشرة عن عمرة<sup>(٤)</sup> .

ويندر بنا أن نذكر الطريقة التي حصل بها ابن إسحاق ، وهو تلميذ

(١) الطبري ١ : ٣٠٦٠ : قال محمد : وحدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز  
عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، قال : جاء المؤذن إلى عثمان فأذنه بالصلاة ، فقال :  
لا أنزل أصلي ، اذهب إلى من يصلي . . . الخ .

(٢) الطبري ١ : ٣٠٠٥ : فلم يزل الناس يقتلون حتى فتح عمرو بن حزم  
الأنصاري باب داره ، وهو إلى جنب دار عثمان بن عفان .

(٣) الطبري ١ : ٢٩٨٩ : وخرج عمرو بن حزم الأنصاري حتى أتى النصرين ،  
وهم بنى خشب ، فأخبرهم الخبر ، وسار معهم حتى قدموا المدينة . . . الخ . وانظر  
أيضا الطبري ١ : ٣٠٠١ ، ٣٠٢١ .

(٤) ابن هشام ٤ : ٣١٤ : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ،  
عن امرأته فاطمة بنت عمارة ، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة ،  
عن عائشة .

لعبد الله ، على أحد هذه الأحاديث من عمرة ، لتلقى الضوء على اختلاط النساء بالرجال في تلك الأيام .

يروي ابن إسحاق<sup>(١)</sup> أنه عند ما دخل على عبد الله أمر الأخير زوجه فقال : « حدثني محمدا ما سمعت من عمرة بنت عبد الرحمن » ، وعندئذ روت أقوالها . أضف إلى ذلك ، أنه حدث أحيانا ، أن عبد الله لم يجب تلميذه عن بعض الأسئلة التي وجهها إليه . فلم يذكر له اسم المدنين اللذين عصيا أوامر النبي في أثناء نزول عسكره بجوار الحجر ، فنامها العقاب ، وإن كان أطلق سراحهما في نهاية الأمر . يقول ابن إسحاق : « حدثني عبد الله ابن أبي بكر أن قد سمي له العباس الرجلين ، وانسكنه استودعه إياهما ، فأبى عبد الله أن يسميهما لي<sup>(٢)</sup> » .

ولم يقنع عبد الله بجمع الأخبار التي وصل إليها ، فحاول أيضا في هذا الزمن المبكر ، أن ينتكر الترتيب السنوي للحوادث<sup>(٣)</sup> ، فجمع قائمة بغزوات النبي مرتبة ترتيبا سنويا ، استعاره ابن إسحاق لكتابه<sup>(٤)</sup> . وعني إلى

(١) الطبري ١ : ١٨٣٧ . وانسكن ابن هشام لا يقول إلا : وقد حدثني قاطمة هذا الحديث .

(٢) ابن هشام ٤ : ١٦٥ .

(٣) ابن جرير الطبري ٣ : ٢٤٣١ : عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم قال : توفيت زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول سنة ٨ . ويقول نفس المرجع ٢٤٤٧ : عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال : كان الذي زوجها وخطب إليه الجاشي خالد بن سعيد بن العاص وذلك سنة ٧ من الهجرة .

(٤) الطبري ١ : ١٧٥٦ : عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر قال : كان جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ستا وعشرين غزوة أول غزوة غزاها ودان ، وهي غزوة الأبواء ، ثم غزوة بواط ... الخ . انظر أيضاً الطبري ١ : ١٧٥٨ .

جانب أخبار رواته بالمدونات ، مثل الرسالة التي كتبها النبي إلى منوك حمير<sup>(١)</sup> ، والوثيقة الأخرى التي أعطاها النبي جدّه الأكبر عمرو بن حزم ليأخذها معه ، حين بعثه إلى أهالي نجران ليفقههم في الدين<sup>(٢)</sup> . ويدخل عبد الله في الحوادث الأشعار على أفواه أولئك الذين كان لهم أثر ظاهر فيها<sup>(٣)</sup> ، كما فعل سابقوه ، الذين تناولناهم آنفا . وتوجد أمثلة هذا في الأخبار الخاصة بالمغازي وفي أخبار الحوادث بعد وفاة النبي<sup>(٤)</sup> . وكانت أسرة عبد الله محبة للشعر ، ولدينا في « كتاب الأغاني » خبر عن تحدى أحد أبناء أبي بكر بن محمد (لا يمكن أن نقطع أكان عبد الله نفسه أم أحد إخوته) للفرزدق أن ينظم قصيدة مثل إحدى قصائد حسان التي كان يعجب بها<sup>(٥)</sup> .

= حدثني محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر قال : كانت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبموثه فيما بين أن قدم المدينة وبين أن قبضه الله خمسا وثلاثين بعثا وسرية .

(١) الضبري ١ : ١٧١٧ : حدثني محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب ملوك حمير . . . فسكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبي رسول الله إلى الحارث بن عبد كلال . . . الخ .

(٢) ابن هشام ٤ : ٢٤١ : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث إليهم بعد أن ولى وفد عمرو بن حزم ، ليفقههم في الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتابا ، عهد إليه فيه عهده ، وأمره فيه أمره : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا بيان من الله ورسوله . . . الخ .

(٣) ابن هشام ٣ : ١٠٨ .

(٤) ابن هشام ٤ : ١٣ ، ١٨ ؛ الضبري ١٧٣٢ ، ١٧٣٤ . ولا يذكر عبد الله في القترات المقابلة لها عند ابن هشام ٤ : ٢٢٨ ، ٢٣٠ . وانظر أيضا الضبري ١٩٠٥ ، ٢٣٥٤ .

(٥) النقايس ، بيان ٥٤٦ . وانظر أيضا الأغاني ٨ : ١٩٣ ، ١٩ : ٣٨ .

« قال اليربوعي : قال إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص الزُّهري :  
قدم الفرزدق في إمارة أبان بن عثمان ( ٧٥ - ٨٢ هـ ) قال : فإني والفرزدق  
وكثيرٌ لجلوس في المسجد تتناشد الأشعار ، إذ طلع علينا غلام شخت  
- أي دفيق - في ثوبين مُمَصَّرين - أي مصبوغين بصفرة غير شديدة - .  
ثم قصد نحونا حتى جاء إلينا فلم يسلم ، فقال : أيكم الفرزدق ؟ فقلت - مخافة  
أن يكون من قريش - مثل إبراهيم نفسه : أهكذا تقول لسيد العرب  
وشاعرها ؟ فقال : لو كان كذلك لم أقل هذا له . فقال له الفرزدق : ومن  
أنت يا غلام ، لا أم لك ؟ قال : رجل من بني الأنصار ، ثم من بني  
النجار ، ثم أنا ابن أبي بكر بن حزم ، بلغني أنك تزعم أنك أشعر العرب ،  
وتزعم مصر ذلك لك ، وقد قال حسان بن ثابت [ شعر النبي المذني ]  
شعرا ، فأردت أن أعرضه عليك ، وأؤجلك سنة ، فإن قلت مثله فأنت أشعر  
العرب ، وإلا فأنت كذاب مُمَجَّل . ثم أنشده قول حسان :

لنا الجففات الغرُّ يلعبن بالضحى      وأسيفنا يقطرن من نَجْدَة دما  
متى ما تزرنا من معدة بعصبة      وغسان تمنع حوضنا أن يهدما  
أبي فملنا المعروف أن نطق الخنا      وقائلنا بالعرف إلا تكلمنا  
ولدنا بني العنقاء وابنى محرق      فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنا

فأنشده القصيدة كلها إلى آخرها ، وقال له : إني قد أجاتك فيها حولا ،  
ثم انصرف ، وانصرف الفرزدق مغضبا يسحب رداءه ، ما يدري أي طريق  
يسلك ، حتى خرج من المسجد . قال : فأقبل كثيرٌ على ، فقال : قاتل الله  
الأنصاري ، ما أفصح لهجته ، وأوضح حجته ، وأجود شعره ! قال : فلم

نزل في حديث الفرزدق والأنصاري بقية يومنا ، حتى إذا كان الغد خرجت من منزلي إلى مجلسي الذي كنت فيه بالأمس ، وأتاني كثير فجلس معي . فإنا لنتذاكر الفرزدق ونقول : ليت شعري ما فعل ! إذ طلع علينا في حالة أفواف يمانية موشاة ، له غد يرتان ، حتى جلس في مجلسه بالأمس . ثم قال : ما فعل الأنصاري ؟ قال : فلنا منه [ الأنصاري الذكور ] وشتمناه [ ووقعنا فيه ] ، نريد بذلك أن نصيب نفس الفرزدق [ فقال : قاتله الله مارميت بمثله [ حسان ] ولا سمعنا بمثله شعره . [ ثم قال لهما الفرزدق : إني ] غارقتكما [ بالأمس ] فأتيت منزلي فأقبلت أصعد وأصوب في كل فن من الشعر ، فكأني مفحم ، أو لم أقل قط شعرا ، حتى نادى المنادي بالفجر ، فرحات ناقتي ، ثم أخذت بزمامها ، فقدمتها حتى أتيت ذبابا [ وهو جبل بالمدينة ] ثم ناديت بأعلى صوتي [ للجنى الذي يلهم الفرزدق قصائده ] : [ أجيبوا ] أياكم أبا ليني . فجاش صدري كما يجيش الرجل ، ثم عقلت ناقتي ، وتوسدت ذراعها ، فقامت حتى قلت : مئة وثلاثة عشر بيتا . فبينما هو ينشدنا إذ طلع علينا الأنصاري ، حتى انتهى إلينا فسلم ، ثم قال : أما إني لم آتكم لأعجلك عن الرجل الذي واثقه لك ، وإنكني أحببت ألا أراك إلا سأتك عما صنعت . فقال : اجلس . ثم أنشده :

عرفت بأعشاش وما كدت تعرف      وأنكرت من حذراء ما كنت تعرف  
فلما فرغ الفرزدق من إنشاده قام الأنصاري كئيبا . فلما تواري طلع أبوه ، وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في مشيخة من الأنصار ، فسلموا علينا ، وقالوا : يا أبا فراس [ كنية الفرزدق ] إنك قد عرفت حالنا

ومكاننا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووصيته بنا، وقد بلغنا أن سفيها  
من سفهائنا تعرض لك، فذسالك بالله [و بحق المصطفى محمد صلى الله عليه  
وسلم] لما حفظت فينا وصية النبي صلى الله عليه وسلم، ووهبتنا له، ولم تفضحنا  
[النجباء] قال [اليربوعي]، قال [إبراهيم بن محمد بن سعد بن سعد] فأقبات  
كله أنا وكثير، فلما أكثرنا عليه، قال: اذهبوا فقد وهبتكم لهذا القرشي «  
(يعني إبراهيم بن محمد بن سعد).

وتحدث القصة في شباب عبد الله أو أحد إخوته، وترينا المرة الثمانية  
منافع عناية أهل الفقه والحديث برواية الشعر ودرسه ونقله.

### عاصم بن عمر

وُلد عاصم بن عمر بن قتادة من أسرة مدنية أيضا، كانت من  
السابقين إلى الإسلام. وكان جده قتادة، من بني ظفر، أحد الأنصار  
الذين حاربوا في بدر مع النبي <sup>(١)</sup>؛ وكان حامل لواء قبيلته في حُنين <sup>(٢)</sup>.  
كما نخبرنا المراجع كثيرا عن عمر والد عاصم <sup>(٣)</sup>، غير أنه تلقى الحديث عن  
أبيه، ورواه ابنه عاصمًا. ومن الواضح أنه بخلاف أبي عبد الله بن أبي بكر،  
لم يُعْن بالشؤون الخاصة بحياة المدينة، ولم يتقلد أي عمل رسمي فيها، ولم ينجح  
من المتاعب الاقتصادية التي اضطرتته إلى الرحيل إلى قاعدة  
الخلافة، يبحث عن المساعدة في بلاط الخليفة، مثل كثير غيره من أهل

(١) ابن هشام ٢ : ٣٤٣ : ومن بني ظفر : ثم من بني سواد بن كعب ، وكعب :  
هو ظفر . . . قتادة بن النعمان .

(٢) الواقدي ، ت . فلهوزن ٣٥٨ .

(٣) ابن حجر ٧ : ٤٨٩ : عمر بن قتادة بن نعمان الظفري الأنصاري المدني .  
روى عن أبيه ، وله صحبة ، وعن علي بن الحسين . روى عنه ابنه عاصم .

بلته إذا فابتهم الأزمات والشدائد . وقد نجح في الحصول على تلك المساعدة من خليفة ذلك الوقت ، عمر بن عبد العزيز الذي تفرد في الخلفاء الأمويين بحب رؤية صالحى أهل المدينة . ويخبرنا ابن سعد<sup>(١)</sup> أن عاصما « وفد على عمر بن عبد العزيز فقصى دينه ، وأمره أن يجلس فى مسجد دمشق ، فيحدث الناس بالمغازى ومناقب الصحابة ؛ ففعل ، ثم رجع إلى المدينة » . واستحسن الخليفة عمر بن عبد العزيز ، الذى اهتم اهتماما كبيرا بجمع الحديث وتدوينه كما رأينا ، أن يعلم جمهرة أهل دمشق بنفس الطريقة على فقيه متبحر . أضف إلى ذلك أن معرفة عاصم فى السيرة والمغازى كانت مشهورة<sup>(٢)</sup> وهو يعد من الرواة الثقات<sup>(٣)</sup> . ولا نقبل أنه شوّه تاريخ النبي إرضاء للأمويين ؛ كما نرفض أن عمر الثانى رغب فى ذلك . وقد تولى الخليفة عمر الحكم من عام ٩٩ إلى ١٠١ هـ ، ورجع عاصم إلى بلده فى عام ١٠١ على آخر الأقوال ؛ وهناك كان يشرح معارفه أمام سامعيه مدة تقرب من العشرين عاما ، وتوفى عام ١١٩ هـ ، أو بعد ذلك بقليل<sup>(٤)</sup> .

---

(١) يبدو أن ترجمة عاصم ساقطة من المخطوطة التى وصلت إلينا من ابن سعد ، ولكن اقتبسها الذهبي ( نشر فيشر ) ٢٢ ، وابن حجر ٥ : ٥٣ ، والمزى ( انظر سناو ، دراسات ) ١٤ . وقال ابن سعد : كان راوية للعلم ، وله علم بالمغازى والسيرة ، أمره عمر بن عبد العزيز أن يجلس فى مسجد دمشق ، فيحدث الناس بالمغازى ومناقب الصحابة ففعل . يقول الذهبي ٢٢ : وفد على عمر بن عبد العزيز فقصى دينه وأمره أن يجلس فى مسجد دمشق ، فيحدث الناس ؛ ففعل ، ثم رجع إلى المدينة .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ٢٣٦ : هو صاحب السير والمغازى .

(٣) الذهبي ٢٢ : وثقه ابن معين وجاعة .

(٤) ابن قتيبة : المعارف ٢٣٦ : توفى سنة عشرين ومئة .

وعاصم أحد رواة ابن إسحاق والواقدي، وهما متفردان في المغازي بالمعنى الخاص، ولكنه عُني أيضا بتفاصيل قصة شباب النبي والفترة المكية علمة، كما تُبين مقتبسات ابن سعد خاصة. وهو يصرح غالبا بأسانيده، ولكنه كان كذلك يحدف السند كثيرا. فسلكه نحو الإسناد شبيه بمسلك عبد الله ابن أبي بكر. وهو يُدخل في الأخبار التي يرويها أشعار أصحابها الأساسيين من وقت لآخر<sup>(١)</sup>؛ ويتضح من الفقرة التي ذكرها ابن إسحاق أنه لم يكن يجمع الأخبار فحسب، بل كان يعبر من حين لآخر عن رأيه الخاص في الدوافع التي تدفع لارتكاب الحوادث. يقول ابن إسحاق<sup>(٢)</sup>: «وأما عاصم بن عمر فقال: والله، ما قال ذلك العباس» - أعني توثيق حلف الأنصار على طاعة النبي، مع أنهم كانوا مستعدين للتضحية بأرواحهم وأموالهم في سبيل هذه الطاعة - «إلا ليشد العقْد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أعناقهم». ويعبر عبد الله بن أبي بكر أيضا عن رأيه ورأى عاصم المعارض له في موقف العباس هذا بطريقة تستحق الذكر.

### الزُّهْرِيُّ

ظهر عبد الله وعاصم كلاهما من دائرة الأنصار. أما محمد بن مسلم بن عُبَيْد الله بن عبد الله بن شهاب، فظهر من قبيلة مكية، هي بنو زُهْرَةَ،

(١) انظر ابن هشام ٢ : ٦٧ ، ٤ : ١٣ .

(٢) ابن هشام ٣ : ٨٩ ؛ وأما عاصم بن عمر بن قتادة فقال : واقفة ما قال ذلك العباس إلا ليشد العقْد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أعناقهم . وأما عبد الله ابن أبي بكر فقال : ما قال ذلك العباس إلا ليؤخر القوم تلك الليلة ، وجاء أن يحضرها عبد الله بن أبي ابن سلول ، فيكون أقوى لأمر القوم .

كاتبين من لقبه. وقد وُلد عام ٥٠ أو ٥١، وتقول روايات أخرى في عام ٥٦ أو ٥٧ أو ٥٨<sup>(١)</sup>، وحارب جدُّ أبيه عبد الله بن شهاب مع المكيين في بدر<sup>(٢)</sup>، وتآمر مع ثلاثة من المكيين على قتل النبي في أحد<sup>(٣)</sup>، وقد نجح فعلا في جرحه<sup>(٤)</sup>. ومن الطبيعي أن هذا السلوك كان مؤلما للحفيد الذي لا يقول شيئا عن عمل جده في الصفحات التي يتكلم فيها عن هجوم المتآمرين على النبي<sup>(٥)</sup>. وكان أبو الزهري إلى جانب عبد الله بن الزبير في أثناء رفضه لواء الثورة<sup>(٦)</sup>؛ ولكن الزهري نفسه وقد على مروان<sup>(٧)</sup> في أثناء خلافته عام ٦٤ هـ وهو غلام محتم، كما يقول عن نفسه، ثم وفد على عبد الملك

---

(١) الذهبي ٧٣ : قال الزبي : قال أحمد بن صالح المصري : يقولون : مولده سنة خمسين ، وقال خليفة : ولد سنة إحدى وخمسين ، وقال ابن بكير : سنة ست وخمسين ، وقال الواقدي : سنة ثمان وخمسين .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ٢٣٩ : وكان أبو جده عبد الله بن شهاب شهد مع المشركين بدرا .

(٣) نفس المرجع : وكان أحد النفر الذين تماقدوا يوم أحد : لئن رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقطنه أو ليقطن دونه . وهم : عبد الله بن شهاب ، وأبي بن خلف وابن قبيصة ، وعتبة بن أبي وقاص . وانظر أيضا الواقدي ( وهووزن ) ١١٦ ابن سعد ج ٤ ، ق ١ : ٩٢ .

(٤) ابن هشام ٣ : ٨٤ : قال ابن هشام : وذكر ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه ، عن أبي سعيد الخدري : أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، فكسر رباعيته اليمنى السفلى ، وجرح شفته السفلى ، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجعه في جبهته .

(٥) ابن هشام ٣ : ٨٥ ، الطبري ١ : ١٤٠٧ .

(٦) ابن قتيبة ٢٣٩ : وكان أبوه مسلم بن عبيد الله مع ابن الزبير .

(٧) ابن حجر ٩ : ٤٥١ : وروى عنبة عن يونس عن ابن شهاب قال :

وفدت لي مروان وأنا محتم .

ابن سروان ، ثم استقر في دمشق ، ولكنه كان يذهب كثيرا إلى بلدته  
المدينة . وقد حدث له حادث ، في موضع ما قبل هجرته إلى دمشق ، يرويّه لنا  
ابن سعد<sup>(١)</sup> : « أصاب الزهريّ دما خطأ ، فخرج وترك أهله وضرب فسطاطا ،  
وقال : « لا يظنني ستيف بيت » . فمر به علي بن حسين ، فقال : « يا ابن  
شهاب ، قنوطك أشد من ذنبك ، فاتق الله واستغفره ، وابعث إلى أهله  
بالدية ، وارجع إلى أهلك » . فكان الزهريّ يقول : « علي بن الحسين  
أعظم الناس عليّ منة » .

وإذا كان اليعقوبي<sup>(٢)</sup> المؤرخ الشيعي مصيبا ، فإن الزهري يكون  
قد وضع نفسه وهو صغير في خدمة الخليفة عبد الملك ضد عبد الله  
ابن الزبير ، فعند ما حاول عبد الملك مثلا أن يجعل الحج إلى بيت  
القدس مثل الحج إلى مكة - فعل هذا حين كان الخليفة الثائر عائذا بمكة -  
يقال إنه أجاب عن الذين شكوا من حظر الحج إلى مكة بقوله : « هذا ابن  
شهاب الزهريّ يحدثكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تُشد  
الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام (بمكة) ، ومسجدي (بالمدينة) ،  
ومسجد بيت المقدس (بأورشليم) » .

والحق أننا نجد حديثا بهذا المعنى - مع عدة تغييرات - في الكتب  
الستة الصحيحة جميعها ، وفي مسند أحمد بن حنبل ؛ وغالبا ما يكون

(١) ٥ : ١٥٨ .

(٢) تحقيق هوتسما Houtsma ٢ : ٣١١ : وقالوا : تمنعنا من حج بيت الله  
الحرام ، وهو فرض من الله علينا ؟ ! فقال لهم عبد الملك : هذا ابن شهاب الزهري  
يحدثكم أن رسول الله قال : لا تُشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد ؛ المسجد الحرام ،  
ومسجدي ، ومسجد بيت المقدس .

إسناده : الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، ولكنهم في كثير من الأحيان أيضا لا يذكرون الزهري . وليس من المحتمل أن يُعنى عبد الملك بذكر الزهريّ ليسبغ الثقة على هذا الحديث إلا إذا عني أيضا بذكر رواية الزهريّ ، لأنه إذا كان الخليفة تفوه به حقا ، فلا بد أن ذلك كان بين عامي ٦٥ و ٧٣ هـ ، في أثناء ثورة عبد الله ؛ ومن المحتمل في عام ٧٢ هـ ، ذلك العام الذي بنى فيه عبد الملك قبة الصخرة في بيت المقدس ، كما يبين النقش الذي لازال موجودا ؛ ولكن الزهري كان في الثالثة والعشرين في عام ٧٣ هـ ، وربما كان أصغر بكثير ، وليس من الممكن أن يكون لاسمه كعالم بالحديث من الفضل ، ما يجعل عبد الملك يؤمل فائدة خاصة من ذكره « وحده » . فإذا كان خبر اليعقوبي يستحق أي تصديق ، فإننا يجب أن نأخذ على أن الزهري اندفع إلى عبد الملك من المدينة ، ليبلغه حديثا سمعه من الرواة في المدينة ، ويرجو أنه سيساعد الخليفة في أغراضه السياسية . ولا نصدق أنه اخترعه بنفسه ، كما يقول بعضهم ، إذ لم يكن من الصعب على الناس في دمشق أن يتحققوا من معرفة علماء المدينة المعروفين بالحديث ، ومن الشاق أن يهمل أي إنسان له شكوكه ، في البحث عنه . ومهما ذهب ظن المرء في صحة الحديث ، فإنه لا يوجد ما يدعو إلى الشك في أن الزهري سمعه فعلا من سعيد بن المسيب ، الذي يقولون لنا عنه مرارا - وكان مشهورا بتفسير الأحلام<sup>(١)</sup> - إنه فسر حلما

(١) البلاذري : الأنساب ، نشر آلورد Ahlwerdt ١٥٩ : الدائني عن إبراهيم بن سعد أن عبد الملك رأى في منامه كأن امرأته الخزومية قلعت رأسه ، ثم لطلعت منه عشرين لطة ، فبعث إلى سعيد بن المسيب من سألته عن الرؤيا ، فقال : تلد منه ولدا يملك عشرين سنة . وفي نفس المرجع ٢٣٣ : الدائني قال : رأى عبد الملك كأنه بال في الكعبة ، فبعث إلى سعيد بن المسيب من سألته عن ذلك .

خاصا مرسلا إليه بسوء طالع الخليفة الثائر ، وحسن طالع عبد الملك .  
روى عمر بن حبيب بن قتيبة<sup>(١)</sup> : « كنت جالسا عند سعيد بن المسيب  
يوما ، وقد ضاقت على الأشياء ، ورهقني دين ، فجلست إلى ابن المسيب ،  
مأدري أين أذهب ؟ . فجاءه رجل فقال : يا أبا محمد ( كنية سعيد ) ، إنى رأيت  
رؤيا . قال : ما هي ؟ قال : رأيت كأنى أخذت عبد الملك بن مروان فأضجته  
إلى الأرض ، ثم بطحته ، فأوتدت في ظهره أربعة أوتاد . قال : ما أنت رأيتها !  
قال : بلى ، أنا رأيتها . قال : لا أخبرك أو تخبرني . قال : ابن الزبير رأها ،  
وهو بعثني إليك . قال : لئن صدقت رؤياه قتله عبد الملك بن مروان ،  
وخرج من صلب عبد الملك أربعة كلهم يكون خليفة . قال : فدخلت إلى  
عبد الملك بن مروان بالشام ، فأخبرته بذلك عن سعيد بن المسيب ، فسره ؛ وسألني  
عن سعيد وعن حاله ، فأخبرته ، وأمر لي بقضاء ديني ، وأصبت منه خيرا » .  
وقبل الزهرى أيضا ما فعله عمر هذا — إذا صدقنا قول اليعقوبي —  
حين حمل حديثا سمعه من فم سعيد إلى الخليفة مؤملا نواله . وعلى كل  
حال لم يُقم الزهرى طويلا في دمشق ، إن كان قد ذهب إليها على الإطلاق .  
وقد تمت هجرته الدائمة إلى هناك فيما بعد ، « زمن تحرك ابن الأشعث » ،  
(أى عام ٨١ أو ٨٢ هـ)<sup>(٢)</sup> ، كما يقول هو نفسه<sup>(٣)</sup> . وذهب في أول الأمر

(١) ابن سعد ٥ : ٩١ . ويسمى الراوى حبيب بن منيع في أنساب البلاذرى ٢٣٣ .

(٢) الطبرى ٢ : ١٠٥٢ . وفي هذه السنة (يعنى سنة ٨١) خالف عبد الرحمن

ابن محمد بن الأشعث الحجاج ، ومن معه من جند العراق ، وأقبلوا إليه لحربه ، في قول  
أبي مخنف ، وروايته لذلك عن أبي الخارق الراسي . وأما الواقدي فإنه زعم أن ذلك  
كان في سنة ٨٢ .

(٣) البخارى : تاريخ ٩٣ : قدمت دمشق زمن تحرك ابن الأشعث .

إلى قَبِيصَة ، الذي كان على خاتم عبد الملك <sup>(١)</sup> ، وكان الخليفة على صلوات طيبة به منذ كان واليا على المدينة <sup>(٢)</sup> . فأدخله قبيصة إلى عبد الملك <sup>(٣)</sup> ، إذ سنحت له الفرصة حين سأل الخليفة : من منكم يحفظ القضاء في أمهات الأولاد؟ فذكر الزهري واستدعى للخليفة ، فسأله عن نسبه ، وأبدى ملاحظة عن اشتراك والد الزهري في ثورة عبد الله بن الزبير ، ثم أمره بالجلوس ، وقضى دينه <sup>(٤)</sup> . وقد ذهب إلى دمشق في الخلاص من ضيق حاله <sup>(٥)</sup> ، مثل كثيرين قبله .

وتقول رواية أخرى إن الخليفة سأل سعيدا عن الزهري في بداية الأمر، عن طريق عامله على المدينة <sup>(٦)</sup> . ولا تتفق كل هذه الأخبار مع خبر اليعقوبي الذي يُستنتج منه أن عبد الملك كان يعرف الزهري غير شك منذ وقت طويل ، ولم يكن الزهري يحتاج إلى تقديم خاص للخليفة ولا إلى

(١) ابن سعد ٢٧٧ : ١٥٧ : قبيصة بن ذؤيب . . . روى عنه الزهري ، وكان على خاتم عبد الملك بن مروان .

(٢) البلاذري : الأنساب ٢٥٧ : قال ( يعني قبيصة بن ذؤيب ) : كنا في خلافة معاوية في آخرها نجتمع في حلقة في المسجد بالليل : أنا ، ومصعب بن الزبير . . . وعبد الملك بن مروان .

(٣) ابن سعد ٧ : ١٥٧ : هو أدخل الزهري على عبد الملك . انظر أيضا ابن قتيبة : المعارف ٢٢٨ .

(٤) الذهبي ٧٠ : جالس قبيصة بن ذؤيب ، فأرسل عبد الملك إلى الحلقة : من منكم يحفظ القضاء في أمهات الأولاد؟ قلت : أنا . فأدخلت عليه ، فقال : من أنت؟ فانتسبت له ، فقال : إن كان أبوك لعارا في الفن . اجلس . فسأله مسائل ، وقضى دينه .

(٥) الذهبي نفس الموضوع : ضاقت حال الزهري فخرج إلى الشام .

(٦) البخاري : تاريخ ٩٣ قال : من أنت؟ قلت محمد بن مسلم بن عبيد الله . ثم كتب إلى هشام بن إسماعيل : أن اجث إلى سعيد بن المسيب ، فسله .

مدح من سعيد . وربما لا يستند خبر اليعقوبي إلا إلى أن الناس كانوا يذكرون الزهري فيما بعد بأنه المحدث المشهور الوحيد، الذي كان وثيق الصلة بعبد الملك ، وأنهم أخطئوا فأرخوا تلك الصلة قبل حدوثها بمشر سنوات . ومن اليسير أن يحدث هذا ، لأن اسمه يجيء في إسناد الحديث الذي تناقشه ، كما قد رأينا .

وأقام الزهري في دمشق ، في عهد الخلفاء بعد عبد الملك ، وأجروا عليه راتباً معيناً<sup>(١)</sup> ، فهو يخبرنا<sup>(٢)</sup> أنه قدم على الوليد بن عبد الملك يخطب إليه ابنة عمه مالك بن شهاب . ويبدو أن القصاص فحموا هذه الحادثة ، لأنه وجد كتاب يسمى « كتاب الزهري وابنة عمه الذين ساروا إلى هشام ابن عبد الملك<sup>(٣)</sup> » ، كما نعرف من الفهرست<sup>(٤)</sup> . ويحدث استبدال الوليد بأخيه هشام في موضع آخر، كما سنرى في الحال . وأفتى الزهري في عهد عمر ابن عبد العزيز (٩٩-١٠١ هـ) في بعض المسائل الفقهية<sup>(٥)</sup> . وقال أكثر من واحد<sup>(٦)</sup> : إن خليفة عمر ، يزيد الثاني عينه قاضياً . ولكن يزيد الثاني

---

(١) ابن سعد ٧ : ١٥٧ . وابن قتيبة أيضاً ٢٢٨ : ووصله ، ففرض له ، وصار من أصحابه .

(٢) البخاري : تاريخ ١٠٤ : قال : سمعت الزهري قال : قدمت على الوليد ابن عبد الملك أخطب إليه ابنة عمي ؛ ابنة مالك بن شهاب ، فتعشينا ، ثم خرجنا .. الخ .

(٣) كذا عنوان الكتاب في الفهرست ، وهو تحريف وصحته : « كتاب الزهري وابنة عمه اللذين سارا إلى هشام بن عبد الملك » ح .

(٤) الفهرست ٣٠٧ .

(٥) ابن عبد الحكم ، تحقيق توري Torrey ١٠٤ : ثم خاصم فيها الأصبح إليه ، وابن شهاب قاضيه يومئذ ، فقضى ابن شهاب لابن خارجة بالدار .

(٦) الذهبي ٧٢ : جعل يزيد بن عبد الملك ابن شهاب قاضياً . ابن قتيبة ٢٣٩ : وكان يزيد بن عبد الملك استخضاه .

توقع من الزهري نوعا من المعرفة مغايرا لما يحتاج إليه القاضى فى أداء واجباته . إذ رجع إليه ذات مرة حين رغب فى الاستفسار عن مؤلف إحدى القصائد ؛ ولم تذهب استشارته هذه سدى<sup>(١)</sup> .

« فبينما يزيد [ بن عبد الملك ] وجاريتته حَبَّابَةَ ذات ليلة على سطح تغنيه بشعر الأحوص ، قال لها : من يقول هذا الشعر ؟ قالت : لا ، وعينيك ، ما أدري . قال : وقد كان ذهب من الليل شطره ، فقال : ابعثوا إلى ابن شهاب الزهري ، فعسى أن يكون عنده علم من ذلك . فأتى الزهري ، فخرج عليه بابه . فخرج صرّوَعًا إلى يزيد . فلما صعد إليه ، قال له يزيد : لا ترع ، لم ندعك إلا الخير . اجلس . من يقول هذا الشعر ؟ قال : الأحوص ابن محمد ( الشاعر المدني ، الذى نفاه الخليفة سليمان إلى دَهْلَك ) يا أمير المؤمنين . قال : ما فعل ؟ قال : قد طال حبسه بدَهْلَك . قال : قد عجبت لعمرك كيف أغفله . ثم أمر بتخلية سبيله ، ووهب له أربع مئة دينار . فأقبل الزهري من ليلته إلى قومه من الأنصار ، فبشرهم بذلك » .

وكما ساهم الزهري هنا فى إطلاق سراح أحد المدنيين بحث فى المناسبات الأخرى عن مصالح جمهور بلده . فنصح والى الحجاز الذى عينه يزيد عام ١٠١ هـ قبل سفره إلى مقر وظيفته نصيحة غالية ، لم يتبعها والى الجديد من أجل مصلحته الخاصة<sup>(٢)</sup> .

(١) الأغاني ٤ : ٤٩ .

(٢) الطبرى ٢ : ١٤٥٢ : قال محمد بن عمر : حدثني إبراهيم بن عبد الله بن أبي فروة ، عن الزهري ، قال : قلت لعبد الرحمن بن الفضاك : إنك تقدم على قومك ، وهم ينكرون كل شيء ، خالف فعلهم ، فالزم ما أجمعوا عليه . . . قال الزهري فلم يأخذ بقى . من ذلك ، وطادى الأنصار طرا ، وضرب أبا بكر بن حزم ظلما وعدوانا فى باطل ، فما بقى منهم شاعر إلا هجاه ، ولا صالح إلا عابه ، وأناه بالقيح .

واشتهر الزهري بكرمه ، فتغنى قائد بن أشرم بمدائحها في قصيدة<sup>(١)</sup> ،  
وقال قرّة بن عبد الرحمن يصف الزهري<sup>(٢)</sup> : « ما رأيت أحدا ، الدينار  
والدرهم أهون عليه منه ، كأنها عنده بمنزلة البعر » . فليس من الغريب إذن  
أن يفرق على الدوام في الديون التي قضاها عنه الخليفة الجديد هشام<sup>(٣)</sup>  
(١٠٥ - ١٢٥) وكان الزهري يساعده في تثقيف أولاده<sup>(٤)</sup> ، وكان الخليفة  
يقربه في مجتمعه تقريبه لأبي الزناد . « وحضر الزهري يوما مجلس هشام  
ابن عبد الملك ، وعنده أبو الزناد عبد الله بن ذكوان ، فقال له هشام : أي  
شهر كان يخرج العطاء فيه لأهل المدينة ؟ فقال الزهري : لأدري . فسأل  
أبا الزناد ، فقال : في المحرم . فقال هشام للزهري : يا أبا بكر ، هذا علم  
استفدته اليوم . فقال : مجلس أمير المؤمنين أهل أن يُستفاد منه العلم<sup>(٥)</sup> .  
ولم تكن المقابلات بين الخليفة وبقية القصر العلامة ( كذلك كان  
يُسمى الزهري ) ، تجري دائما بهذا اللطف . فلدينا خبر عن الشافعي<sup>(٦)</sup> ،

(١) الذهبي ٧١ :

ذَرَا وَائِنِ عَلَى الْكَرِيمِ مُحَمَّدٍ      وَإِذَا يُقَالُ مِنَ الْجَوَادِ بِمَالِهِ  
وَإِذَا يُقَالُ مِنَ الْجَوَادِ بِمَالِهِ      وَقِيلَ الْجَوَادُ مُحَمَّدُ بْنُ شِهَابِ  
أَهْلُ الْمَدَائِنِ بِعَرَفُونَ مَكَانَهُ      وَرَفِيعَ نَادِيهِ عَلَى الْأَعْرَابِ

(٢) الذهبي ٦٨ .

(٣) نفس المرجع ٧٠ : قال سعيد بن عبد العزيز : أدى هشام عن الزهري  
سبعة آلاف دينار دينا .

(٤) نفس المرجع ٧٠ : وكان يؤدب ولده .

(٥) ابن خلكان ١ : ٥٧١ . (٦) الذهبي ٧٢ .

عن عمه يقول : « دخل سليمان بن يسار على هشام فقال : من الذى تولى  
كِبْرَهُ منهم ؟ (يعنى حديث الإفك : السورة ٢٤ ، الآية ١١) قال : عبد الله  
ابن أبي بن سُلَول . فقال : كذبت ، هو على . يا بن شهاب ، من  
هو ؟ قال : عبد الله بن أبي . فقال : كذبت ، هو على . قال : أنا أكذب ،  
لأبائك ، فوالله لو نادانى مناد من السماء : أن الله أحل الكذب ، ما كذبت .  
حدثنى سعيد بن المسيب ، وعُروة ، وعُبَيد الله ، وعلقمة بن وقاص ، عن  
عائشة : أن الذى تولى كِبْرَهُ عبد الله بن أبي . قال : فلم يزل القوم يُغْرُونَ  
به ، فقال له هشام : ارحل ، فوالله ما ينبغى لنا أن نحمل عن مثلك . قال :  
ولم ! أنا اغتصبتك على نفسى أو أنت اغتصبتنى ؟ نخل عنى . قال : لا ،  
ولكنك استدنت ألف ألف . فقال : قد علمت ، وأبوك قبلك ، أنى  
ما استدنت هذا المال عليك ولا على أبيك . فقال هشام : إنا إن نهيج  
الشيخ ، وذكر كلمة ، فأمر ، ففضى عنه ألف ألف . فأخبر بذلك ، فقال :  
الحمد لله الذى هذا هو من عنده » . وتقول روايات أخرى<sup>(١)</sup> إنه لم يكن  
هشاما ، وإنما هو الوليد الذى حاول دون جدوى أن يُغْرِى الزهريَّ  
بتحويل ذنب ابن أبي إلى على .

ويروى أبو الزناد<sup>(٢)</sup> حديثا آخر للزهريَّ مع هشام : « دخلت على  
هشام بن عبد الملك ، وعنده الزهريَّ ، وهما يعيبان الوليد ، فأعرضت ولم

---

(١) البخارى : متازى : عن الزهري قال : قال لى الوليد بن عبد الملك : أبلتلك  
أن عليا كان فىمن قذف عائشة . وانظر أيضا الفقرات المقابلة لذلك فى فتح البارى  
٧ : ٣٣٦ ، و « فيك » : محمد بن إسحاق ١٠ ، الملاحظة ٣٤ .

(٢) الأغاني ٦ : ١٠٦ .

أدخل في شيء من ذكره ، فلم ألبث أن استؤذن للوليد ، فأذن له ، فدخل وهو مُغَضَّب ، فجلس قليلا ، ثم نهض . فلما مات هشام وولى الوليد ، كتب إلى المدينة ، فُحِمِلت ، فدخلت عليه ، فقال : أتذكر قول الأحول [أى هشام] ، والزهرى ؟ قلت : نعم ، وما عرضت في شيء من أمرك . قال : صدقت . أتدرى من أبلغنى ذلك ؟ قلت : لا . قال : الخادم الواقف على رأسه ، وإيم الله ، لو بقى الفاسق الزهرى لقتلته . ولكن الزهرى أيضا كان جِدَّ عارف بما ينتظره لو تولى الوليد الحكم ، وعزم على الفرار داخل حدود الإمبراطورية البيزنطية<sup>(١)</sup> عندما يتوفى هشام . ولكنه لم يعيش حتى ارتقاء الوليد الثانى الخلافة ( ١٢٥ هـ ) . فقد توفى فى السابع عَشَرَ من رمضان ١٢٤ هـ<sup>(٢)</sup> ، ودفن فى « شَغْب » فى الحجاز ، فى الأرض التى وهبها له الأمويون<sup>(٣)</sup> .

وكان الزهرى يتردد كثيرا إلى الحجاز<sup>(٤)</sup> ، حتى بعد هجرته إلى

- 
- (١) نفس المرجع : حدثنى . . . مصعب عن أبى الزناد قال : أجمع الزهرى على أن يدخل إلى بلاد الروم إن ولى الوليد بن يزيد ، فأتى الزهرى قبل ذلك .
- (٢) الذهبى ٧٤ : قال ضمرة بن ربيعة وغيره : مات سنة ثلاث وعشرين ، وهذا وهم . وقال إبراهيم بن سعد وطائفة : سنة أربع وعشرين . وقال الزبير بن بكار وغيره : سنة أربع فى سابع عشر رمضان بشغب فى أمواله . وشذ ابن يونس الصدقى فقال : فى رمضان سنة خمس وعشرين ومئة . والصحيح سنة أربع .
- (٣) ابن قتيبة ٢٣٩ : ودفن بماله على فارعة الطريق ، لغير مار فبدعوا له ، والموضع الذى دفن به آخر عمل الحجاز ، وأول عمل فلسطين ، وبه ضيعته . وانظر أيضا « فيك » : محمد بن إسحاق ١٠ ، الملاحظة ٣٩ .
- (٤) الذهبى ٧٠ : وفد الزهرى على عبد الملك ، واستوطن الشام ، وكان يتردد إلى الحجاز ، ويحج .

دمشق . وقد شغل بالحج<sup>(١)</sup> في عام ١١١٩ هـ .

ولكن أهم من كل ذلك أنه قضى أعوام دراسته في المدينة ، ووضع أساس ذلك العلم الذي أكسبه فيما بعد هذا النفوذ العظيم في عاصمة الخلافة .  
ويخبرنا الزهري بنفسه<sup>(٢)</sup> عن دراسته أنساب قومه في بداية أمره على عبد الله بن ثعلبة ، ثم اتصاله بسعيد بن المسيب حين أشار أستاذه على رجل سأله عن بعض أحكام الطلاق بالرجوع إلى سعيد . « وكان لسعيد عند الناس قدر كبير عظيم نلصال : ورع يابس ، ونزاهة ، وكلام بحق عند السلطان وغيرهم ، ومجانبة السلطان ، وعلم لا يشاركه علم أحد ، ورأى بعد صليب . . . ما استطعت أن أواجهه بمسألة حتى أقول : قال فلان كذا وكذا ، وقال فلان كذا وكذا ، فيحيب حينئذ» . ويقول كذلك في خبر آخر<sup>(٣)</sup> : « وكنا نجالس ابن المسيب لأنسأله حتى يأتي إنسان فيسأله ، فيهيجه ذلك ، فيحدث ، أو يبتدى هو فيحدث» . ووجه ثعلبة بن أبي مالك أيضا الزهري إلى سعيد فجالسه «عشر سنين

(١) الطبري ٢ : ١٦٣٥ : وحج بالناس في هذه السنة ( يعني سنة ١١١٩ هـ )

أبو شاذان رسالة بن هشام بن عبد الملك ، وحج معه ابن شهاب الزهري في هذه السنة .

(٢) ابن سعد ٢ : ١٣١ : « كنت أجالس عبد الله بن ثعلبة بن صغير العذري ،

أتعلم منه نسب قومي ، فأراه رجل جاهل يسأله عن المطلقة واحدة ثنتين ، ثم تزوجها

رجل ودخل بها ثم طلقها ، على كم ترجع إلى زوجها الأول ؟ قال : لا أدري ، اذهب

إلى ذلك الرجل . وأشار له إلى سعيد بن المسيب ، قال . فقلت في نفسي : هذا أقدم

من سعيد بدهر ، أخبرني أنه عقل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علي وجهه ،

فلمت ، فاتبعت السائل حتى سأل سعيد بن المسيب ، فلوّمت سعيدا ، فكان هو الغالب

على علم المدينة ، والمستفتي . . . وكان لسعيد بن المسيب عند الناس قدر كبير . . . »

(٣) الذهبي ٦٩ .

كيوم واحد<sup>(١)</sup> .

ويعدُّ الزهري مع سعيد ثلاثة رجال آخرين على أنهم « بحور قريش الأربعة » وهم : عروة ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، وعبيد الله ابن عبد الله بن عتبة<sup>(٢)</sup> ؛ ويوازن بين مادة العلم التي أخذها عن عروة الذي يصفه بأنه « بحر لا يُنزَف<sup>(٣)</sup> » وبين المادة التي حصلها من عبيد الله<sup>(٤)</sup> فيقول : « ما جالست أحدا من العلماء إلا وأرى أني قد أتيت على ما عنده ، وقد كنت اختلفت إلى عروة حتى ما كنت أسمع منه إلا مُعادا ، ما خلا عبيد الله بن عتبة ، فإنه لم آتِه إلا وجدت عنده علما طريفا . وكان الزهري يُخدم عبيد الله أحيانا قال<sup>(٥)</sup> : « كنت أستقي لعبيد الله بن عبد الله ، فيقول لجاريته : من بالباب ؟ فتقول : غلامك الأعمش » : وخاطب عبيد الله ، الذي كان شاعرا كما عرفنا ( فيما سبق ) - حتى وصفه ابن عبد البر بأنه أفقه الشعراء وأشعر الفقهاء - خاطب عبيد الله الزهري ببعض الأشعار

(١) ابن سعد ٣ : ١٣١ : كنت أجالس نعلبة بن أبي مالك قال ، فقال لي يوما : تريد هذا ؟ قال ، قلت : نعم . قال : عليك بسعيد بن المسيب . قال : جالسته عشر سنين كيوم واحد .

(٢) نفس المرجع : عن معمر قال : سمعت الزهري يقول : أدركت من قريش أربعة بحور : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وأبا سلمة بن عبد الرحمن ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة .

(٣) نفس المرجع ١٣٤ : حدثني أبو يوسف الساجشون : أنه سمع ابن شهاب يقول : كنت إذا حدثني عروة ، ثم حدثني عروة ، يصدق عندي حديث عروة ، فلما تبجرتهما إذا عروة بحر لا ينزف .

(٤) ابن حجر ٧ : ٢٣ .

(٥) الذهبي ٧١ .

المروية في كتاب الأغاني<sup>(١)</sup> .

ويصف عِرَاقَ بن مالك الزهرىَّ بأنه أعلم أهل المدينة ، لأنه جمع علم عروة وسعيد وعبيد الله ، والأحكام الماثلة كثيرة ، ولم يُعَبِّ عليه غير صلته الوثيقة بالخلفاء الأمويين . يقول مكحول<sup>(٢)</sup> : «أىُّ رجل الزهرىُّ ، لولا أنه أفسد نفسه بصحبة الملوك !» . وكان الزهرىُّ نفسه يفخر ، حين يعارض صمت أحد تلاميذه ، باستعداده الخاص لنشر معارفه<sup>(٣)</sup> ، فيقول : «ما نشر أحد من الناس هذا العلم نشرى ، ولا بذله بذلى » .

واشتهر أيضا بسعة معارفه<sup>(٤)</sup> . يقول الليث : « مارأيت عالما قط أجمع من ابن شهاب ولا أكثر علما منه ، لو سمعته يحدث في الترغيب لقلت : لا يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن الأنساب لقلت : لا يعرف إلا هذا ، وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثه نورا جامعا » . وقد أجاب سعد<sup>(٥)</sup> عن سؤال ابنه إبراهيم بن سعد : بم فاقكم ابن شهاب ؟ قال : « كان يأتى المجالس من صدورها : ولا يأتها من خلفها ،

(١) الأغاني ٨ : ٩٥ . قال عبيد الله لابن شهاب الزهرى :

إِذَا قُلْتُ أَمَّا بَعْدُ لَمْ يُبْنِ مَنْطِقِي فَخَازِرُ إِذَا مَا قُلْتُ كَيْفَ أُقُولُ  
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى خَلِيلًا مَصَافِيًا لَقَيْتَ ، وَإِخْوَانَ التَّقَاتِ قَلِيلُ

(٢) ابن حجر ٩ : ٤٤٨ : وقال الليث عن جعفر بن ربيعة ، قلت لعراق

ابن مالك : من أفقه أهل المدينة ؟ فذكر سعيد بن المسيب ، وعروة وعبيد الله بن عبد الله .

قال عراق : وأعلمهم عندي جميعا ابن شهاب ؛ لأنه جمع علمهم إلى علمه .

(٣) الذهبي ٦٩ . (٤) ابن حجر ٩ : ٤٤٩ .

(٥) ابن حجر ٩ : ٤٤٩ .

ولا يُبقى في المجلس شابا إلا ساءله ، ولا كهلا إلا ساءله ، ثم يأتي الدار من دور الأنصار ، فلا يبقى فيها شابا ولا كهلا ولا عجوزا ولا كهلة إلا ساءلهم ، حتى يحاول ربات الحجال » . أما ابن سعد<sup>(١)</sup> فيروى الجواب مختلفا عن ذلك بعض الاختلاف ، فيقول : « إنا ماسبقنا ابن شهاب بشيء من العلم ، إلا أنا كنا نأتي المجلس فيستنتل ويشد ثوبه عند صدره ، ويسأل عما يريد ، وكنا تمنعنا الحدائث<sup>(٢)</sup> » . وقد ساعد شغفه الذي لا يفتر بجمع الأخبار ذاكرة قوية ، حاول أن يقويها باستعمال العسل<sup>(٣)</sup> . « وكان يسمر على العسل كما يسمر أهل الشراب على شرابهم ، ويقول : اسقونا وحادثونا » . ويرَوِي<sup>(٤)</sup> أن هشاما أراد أن يختبر ذاكرته ذات مرة ؛ فسأله أن يملي شيئا على بعض ولده ، فدعا بكاتب ، وأملى عليه أربع مئة حديث . وحين لقي هشام الزهري ثانية ، بعد مضي بعض الوقت ، وقال له : « إن ذلك الكتاب قد ضاع » أجابه الزهري : لا عليك . فدعا بكاتب وأملى الأحاديث ؛ وحين قابلها هشام بالكتاب الأول وجده لم يغادر حرفا .

ولم يكن من المؤلف ، حتى بين التابعين ، أن يدون جامعوا الحديث الأخبار التي جمعوها لأنفسهم كما قد رأينا . ويرَوِي أبو الزناد<sup>(٥)</sup> ، زميل الزهري في الدراسة ، ورفيقه في بلاط هشام عنه : « كنت أطوف أنا والزهري ومعه ألواح وصحف ، فكنا نضحك به ، وكان يكتب كل ما سمع » . ويقول محمد بن عكرمة<sup>(٦)</sup> : « كان ابن شهاب يختلف إلى الأعرج - وكان

(١) ابن سعد ٢ : ١٣٥ .

(٢) في اللسان مادة « نتل » : « وفي حديث سعد بن إبراهيم : ما سبقنا ابن شهاب من العلم بشيء إلا [أنا] كنا نأتي المجلس فيستنتل ويشد ثوبه على صدره ، أي يتقدم » - ح . (٣) الذهبي ٧٠ . (٤) نفس المرجع ٦٩ . (٥) نفس المرجع ٦٧ . (٦) نفس الموضوع .

الأعرج يكتب المصاحف - فيسأله عن الحديث ، ثم يكتبه ، ثم يحفظه .  
فإذا حفظ الحديث مزق الرقعة » . ويروى صالح بن كيسان أيضا<sup>(١)</sup> :  
« كنت أطلب العلم أنا والزهرى فقال : « تعال نكتب السنن . قال :  
فكتبنا ماجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم . ثم قال : تعال نكتب ماجاء  
عن الصحابة . قال : فكتب ولم أكتب ، فأنيح وضعتُ » .

والأمر في جميع هذه الروايات أمر ملاحظات مدونة للاستعمال الخاص .  
أما جعل هذه الملاحظات في متناول الجمهور فكان أمرا جديدا<sup>(٢)</sup> . وربما كان  
عمر بن عبد العزيز أول من حث العلماء على مثل هذا العمل . فقد رأينا  
أنفا أنه أمر عبد الله بن أبي بكر بذلك العمل ، وتقول بعض الروايات الأخرى  
إن الزهرى تلقى منه أمرا مماثلا<sup>(٣)</sup> . وعلى كل حال ، يُحْمَلُ الزهرى ،  
في عبارة رواها معمر « هؤلاء الأمراء » مسئولية خروجه عن عادته  
القديمة في الصمت ، قال : « كنا نكره كتاب العلم حتى أكرهنا عليه  
هؤلاء الأمراء ، فرأينا ألا يُمنعه أحد من المسلمين<sup>(٤)</sup> » . لقد رأينا هشاما  
يأمره بإملاء الحديث على كاتب ، ونستطيع أن نستنتج أنه كان في بداية  
الأمر يتخرج من إملاء الحديث أو إباحة كتابة محاضراته ، من الجواب

---

(١) نفس الوضع .

(٢) كان ماأراده عبد الملك من عروة أخبارا مدونة عن مجرى بعض الحوادث ،  
لاتبليغ الأحاديث الخاصة بها . وربما كان هذا سبب عدم ذكر عروة الأسانيد .

(٣) انظر جولد تسهير : دراسات إسلامية ٢ : ٢١٠ .

(٤) ابن سعد ٢ : ١٣٥ . والنهي ٧١ : فرأيت ألا أمنعه مسلما . وانظر

أيضا جولد تسهير : دراسات إسلامية ٢ : ٣٨ .

المتهرب<sup>(١)</sup> الذي أعطاه الليث حين سأله : « يا أبا بكر (كنية الزهري) ، لو وضعت للناس هذه الكتب ، ودونت فتفرغت ! » فكان جواب الزهري : « ما نشر أحد من الناس هذا العلم نشري » يريد أن يقول : « يستطيع كل إنسان أن يسمع الأحاديث التي جمعتها ، ولكني لأستطيع أن أعزم على تدوينها ونشرها بين الناس ، كما تريد . ومن المحتمل أن هذا التصريح يرجع إلى فترة متقدمة على التصريح المذكور آنفاً ، وأنه يعني : « مادمننا مضطرين إلى جعل كتبنا في متناول الأمراء ، فلا يوجد إذن ما يدعوا إلى منعها عن الآخرين » . ومع ذلك فقد أبدى الزهري في هذا الاتجاه حتى عيب عليه<sup>(٢)</sup> ، لسياحه بانتقال مجلد يحوى أحاديث مروية عنه ، أُعطي إليه ليحيزه ، فسمح بانتقاله إلى الأجيال القادمة ، دون أن يلتقي النظر فيه باديء بدء . وتقول إحدى الروايات : إن إبراهيم بن الوليد هو الذي حصل على هذه الإجازة ، ولا يمكن أن تعني هذه الرواية إبراهيم الذي صار خليفة فيما بعد ، كما بين جولد تسبير كل التبيين<sup>(٣)</sup> . ومهما كان الأمر ، فإنه كان من الممكن بهذه الطريقة ، إخراج أخبار لم يسمع بها الزهري أبداً ، وإن كانت تحمل اسمه ؛ ولكننا لانقبل أنه وضع أحاديث ليؤيد بها دعاوى الأمويين .

ونعرف من قول لمعمر تلميذ الزهري ، أنه وجدت في مكتبة الأمويين

(١) الذهبي ٦٨ .

(٢) نفس المرجع ٦٩ : وقال أنس بن عياض ، عن عبيد الله بن عمر ، قال : كنت أرى الزهري يعطى الكتاب ، فلا يقرؤه ولا يقرأ عليه ، فيقال له : تروى هذا عنك ؟ فيقول : نعم .

(٣) جولد تسبير : دراسات إسلامية ٢ : ٣٨ ، الملاحظة ٢ .

بدمشق أكوام من المجلدات التي احتوت على المادة العلمية التي جمعها الزهري . وهاك نص قوله<sup>(١)</sup> : « كنا نرى أنا قد أكثرنا عن الزهري ، حتى قتل الوليد ، فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه ، يقول (معمر) : من علم الزهري » . وتشير العبارة إلى ما بعد مقتل الوليد الثاني عام ١٢٦ هـ . ونحن نعرف أن الوليد خصم للزهري ، ولكنه لم يوجد ما يدعوه إلى القضاء على الملاحظات التي كتبها أو أملاها الزهري بأمر من أسلافه . وليس لقول امرأة الزهري إلا بعض الأهمية القصصية ، بالنسبة لقول معمر ، الذي يسمو إلى درجة الشاهد التاريخي ، إذ قالت : « هذه الكتب أشد عليّ من ثلاث ضرائر ! » وهو قول لا يوجد إلا في المراجع المتأخرة<sup>(٢)</sup> ، أضف إلى ذلك أنه لا يقصد إلا مدوناتَه لاستعماله الخاص ، لا مدوناتَه التي وهبها للجمهور أو لزواره الخاصين .

ويخبرنا<sup>(٣)</sup> الزهري نفسه أنه كتب لجدّه «أسنان الخلفاء» وهي قائمة حولية ، وعى منها الطبري اقتباسين<sup>(٤)</sup> . ويقول أيضا<sup>(٥)</sup> إنه بدأ كتابا عن القبائل

(١) ابن سعد ٢ : ١٣٦ . وانظر أيضا الذهبي ٧١ .

(٢) ابن خلكان ١ : ٥٧١ : وكان إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله ، فيشتغل بها عن كل شيء من أمور الدنيا ، فقالت له امرأته يوما : والله لهذه الكتب أشد عليّ من ثلاث ضرائر . وانظر أيضا أبا الفدا ١ : ٤٥٦ .

(٣) الطبري ٢ : ٤٢٨ .

(٤) نفس الموضع : فكان فيما كتب من ذلك : ومات يزيد بن معاوية ، وهو ابن تسع وثلاثين ، وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر في قول بعضهم ، ويقال ثمانية أشهر ؛ نفس المرجع ١٢٦٩ : فقال الزهري في ذلك : ما حدثت عن ابن وهب ، عن يونس ، عنه : ملك الوليد عشر سنين إلا شهرا .

(٥) الأغاني ١٩ : ٥٩ : قال المدائني في خبره : وأخبرني ابن شهاب قال :

العربية الشمالية ، بأمر من خالد بن عبد الله القسري ، ولكنه لم يتمه . ومن الواضح أن قرّة بن عبد الرحمن يعني هذا الكتاب حين يقول : « لم يكن للزهري كتاب إلا كتاب نسب قومه » . وأمر خالد الزهري أيضاً بكتابة السيرة له <sup>(١)</sup> .

وإذن ألف الزهري ، إلى جانب مجموعات المادة المدونة لاستعماله الخاص ، كتباً بأمر من خالد أو من الأمويين . وكتب سيرة أيضاً ، ولكن لم يصل إلينا كتاب مستقل له ؛ وإنما يوجد في مجموعة الأحاديث (المسماة «الزهريات» ) التي رواها وجهها كتاب متأخرون ، عدد كبير من الفقرات التي استعارتها كتب مترجمي النبي والكتب عن تاريخ الإسلام الأول . وقد تناول الزهري ، كما تبين مقتبسات ابن سعد خاصة ، جميع حياة النبي ، لا المغازي بالمعنى الخاص وحدها . واستخدم الزهري نفسه لفظ السيرة ليصف الكتاب <sup>(٢)</sup> الذي كتبه بأمر خالد <sup>(٣)</sup> .

---

== قال لي خالد بن عبد الله القسري : اكتب لي النسب ، فبدأت بنسب مضر ، وما أتممته ، فقال : اقطعه ، قطعه الله مع أصولهم .

(١) الأغاني ١٩ : ٥٩ : قال : وكتب لي السيرة ، فقلت له : فإنه يمر بي الشيء من سيرة علي بن أبي طالب - صلوات الله عليه - فأذكره ، فقال : لا إلا أن تراه في قعر الجحيم .

(٢) انظر « فيك » : محمد بن إسحاق ٢ ، الملاحظة ٢٤ .

(٣) يبدو أن الزهري كانت له كتب أخرى لم يصل إليها الأستاذ هوروفنس ، إذ يقول شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي في كتاب « الإعلان بالتاريخ لمن ذم التاريخ » : وروى يونس بن يزيد مشاهد النبي صلى الله عليه وسلم عن الزهري - ح .

وبصدّر الزهري عامة أحاديثه بالإسناد ولكنه يحذفه في كثير من الأحيان أيضا . وحينما يجمع عدة روايات ، تختص جميعا بحادثة واحدة ، ينشئ من هذه الروايات المختلفة خبرا جماعيا ، يصدره بأسماء الرواة مجتمعين<sup>(١)</sup> . ويدخل في أخباره في الغالب أشعار الممثلين في الحوادث الموصوفة . ورأينا أنفا أنه كان ذواقا للشعر ، ويروي حماد بن زيد أن الزهري كان يقول ، بعد أن يروي الحديث : « هاتوا من أشعاركم وأحاديثكم<sup>(٢)</sup> ، فإن الأذن تتحاجة ، والنفس تخمضة » .

---

(١) انظر ابن هشام ٣ : ٣٠٩ ، والطبري ١ : ١٥١٨ ، ومسنده أحمد ٣ : ١٩٤ ، والبخاري : صحيح ، حديث الإفك .

حدثني الزهري عن علقمة بن وقاص ، وعن سعيد بن جبير ، وعن عروة بن الزبير وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : كل قد حدثني بهذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى له من بعض ، وقد جمعت لك الذي حدثني القوم .

(٢) الذهبي ٧٣ .